مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد08 / العـدد: .02(2024)، صص177-198

العنف ضد المرأة في المجتمع الجزائري دراسة وصفية باعتماد نماذج حالات من العيادة النفسية

Violence against Women in Algerian Society: A Descriptive and Clinical Study

نزيهة بوالقمح
المركز الجامعي عبدالله مرسلي تيبازة
Boulkamh.naziha@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2023./06./07 تاريخ القبول: 2024./.06./13

الملخص: تهدف دراستنا الحالية لتسليط الضوء على العنف الممارس ضد المرأة في المجتمع الجزائري بأشكاله المختلفة المعروفة، استخدمنا فيها المنهج الوصفي والمنهج العيادي على اعتبار أنهما الأكثر مناسبة لموضوعنا، وهذا بالاعتماد على نماذج لحالات تقدمن لطلب المساعدة النفسية باشكاليات مختلفة لنكتشف تعرضهن للعنف (الزواجي، الأخوي، الأبوي) حيث اخترن منهن ستة(6) حالات، وفيما يخص أدوات الدراسة فقد استعملنا المقابلة العيادية، ومقياس كوبر سميثCooper Smith لتقدير الذات، ومقياس معنى الحياة لهارون الرشيدي(1996)، وأوضحت النتائج أن العنف ضدهن قد تسبب في عدة آثار نفسية، وجدنا أن أبرزها يتمثل: في انخفاض تقدير الذات وعدم الثقة في الذات، وتدني مستوى معنى الحياة، والشعور بالإحباط والميل إلى العزلة...إلخ، ناهيك عن بعض الاضطرابات السيكوسوماتية كالقولون العصبي، وفقدان الشهية المرضي، وداء الثعلبة، كما وجدنا بأن صور العنف وأشكاله تنحصر في نوعيه الأساسين (مادي/ ومعنوي)، وأن لا وجود لاختلاف كبير في درجة وحدة الآثار النفسية باختلاف نوع العنف الممارس، أو باختلاف العلاقة مع الشخص الممارس للعنف.

الكلمات المفتاحية: العنف، المرأة، العنف المادي، العنف المعنوي.

Abstract:
The current study aims to shed light on the various forms of violence against women in Algerian society. We employed a descriptive and clinical approach as the most appropriate methods for our subject. Using case studies of women seeking psychological assistance for different issues, it was determined that they encountered diverse manifestations of violence, such as marital, sibling, and parental violence. We selected six cases for analysis. For data collection, we have employed clinical interviews along with the Cooper Smith Self-Esteem Inventory and the Meaning in Life Scale developed by Haroun Rashidi in 1996. The findings revealed that violence had several psychological effects on the women, including decreased self-esteem, lack of self-confidence, diminished sense of meaning in life, feelings of frustration, and a tendency toward isolation, among others. Additionally, some psychosomatic disorders such as irritable bowel syndrome, loss of appetite, and alopecia were observed. We also found that the forms of violence can be categorized into two main types: physical and psychological, with no significant difference in the degree or intensity of psychological effects based on the type of violence or the relationship with the perpetrator.

Keywords: Violence, Women, Physical Violence, Psychological Violence.

- **مقدمة:**

تتداول في مختلف المناسبات الخاصة والعامة، والمحافل الكبيرة والصغيرة عبارة مشهورة مفادها أن المرأة نصف المجتمع، وهي التي تنشأ النصف الآخر منه، وأنها تحظى بالأهمية والمكانة نفسها كالتي يحظى بها الرجل إن لم نقل أكبر وأحسن وأجود، وأنها تمثل البنت والأخت والزوجة والأم الحنون التي لا يعوض مكانها أحد، وأن صلاحها يأتينا بصلاح مجتمع طيب الأعراق، ولكن وكما يقال " بين القول والفعل يتوسط البحر " والقصد من هذه الأخيرة أن كل تلك العبارات الشهيرة التي تتكرر على المسامع في مختلف المناسبات تبقى للأسف الشديد تمثل فئة دون أخرى من النساء، وتعبر عن فئة دون غيرها ممن يعانين الاضطهاد والعنف والعدوان والتنمر بشتى أشكاله.

والمعروف أن المرأة وعلى مر العصور تعرضت للإساءة وللعنف اللفظي والجسدي والنفسي، ولا تزال تتعرض له، فعلى الرغم من التطور العلمي والتكنولوجي والحضاري والاجتماعي...إلخ الذي وصلت إليه البشرية في يومنا الحالي إلا أننا لازلنا نشاهد ونلاحظ مظاهر متكررة للإساءة الموجهة نحو الأنثى أيا كانت مكانتها في الأسرة، فالزوجة تتعرض إلى العنف من طرف الزوج، والبنت من طرف الأخ أو الأب وحتى الأم التي تعد مقدسة في ديننا الإسلامي الحنيف لا تسلم من العنف والإساءة من أولادها، كما أن المرأة العاملة تعاني من التنمر والإساءة في ميدان العمل، والتي تقود سيارة تتلقى الإهانات والتحرش والسب والشتم فقط لأنها امرأة... وبعبارة مختصرة وشاملة نقول أن المرأة تتعرض للعنف في مختلف المجتمعات، وليس مجتمعنا الجزائري بمنأى عن هذه الظاهرة أو بمستثنى، فهو الآخر يسجل في كل يوم حالات كثيرة لنساء يعانين من العنف المسلط من طرف الذكر مهما كان نوع العلاقة التي تربطه بالمعنفة (زوجة، أخت، أم زميلة عمل... أو حتى لا تربطه بها أي علاقة، فقد يلتقي بها في الشارع أو في أي مؤسسة اجتماعية أو مهنية ليمارس عليها سلطة الذكورة المشبعة بالعنف بفكر رجعي متخلف.، " فقد كشفت معدلات الانتشار في المسح الوطني لعام 2006، أن حوالي نصف مليون امرأة في الجزائر تتعرض للاعتداء البدني بانتظام بل وحتى يوميا، ويتناقى هذا الرقم بشكل صارخ مع العدد المتدني نسبيا للحالات المسجلة لدى السلطات القضائية، فحسب المعلومات التي وردت من الحكومة وصلت 18373 حالة اعتداء بدني على النساء إلى علم السلطات سنة2006 " (بوعلاق)[1]

ومنه نفهم بأن المرأة معرضة في كل الأماكن ومهما كانت المواقف للعنف، وهو ما يعد تهديدا دائما ومستمرا على سلامتهما النفسية والجسمية، والذي ينعكس سلبا على أدائها لأدوارها المختلفة في المنزل أو في العمل، ونشير في هذا السياق إلى أن " أشكال العنف ومفاهيمه في أي مجتمع متعددة وبأشكال مختلفة، قد يتبناه أي شخص ضد آخر أو جماعة اتجاه مجموعة من الأشخاص أو حتى فرد واحد حيث يلعب العنف دورا كبيرا في تدمير المجتمعات والأشخاص، نتيجة لما يسببه من دمار للأخلاق والقيم المجتمعية" (Kaloudi)[2]

[1] بوعلاق كمال ـ العنف ضد المرأة في المجتع الجزائري واقع وإجراءات ـ مجلة الحوار الثقافي 2016 (العدد 2) ص 244-247

[2] Kaloudi, E., M.l. Psarra, G KaleMi, J.douzenis, & a. douzenis - Violence in a family setting - ENCEPHALOS Journal 54 2017, pp. 28-32

ولا بد من التنويه إلى أن العنف بصفة عامة هو مرادف للإساءة لأن العنف يشمل كل المعاني التي نجدها في مفهوم الإساءة من ضرر مادي أو معنوي سواء كان صغيرا أو كبيرا، وتعرف الإساءة على أنها: "كل تصرف غير لائق يتمثل في إلحاق الضرر بالآخر سواء كان ماديا أو معنويا، وهي شكل من أشكال العنف ويمكن أن تتحول إلى جريمة إذا توفرت الأركان المادية والمعنوية، وتتضمن أشكالا مختلفة تتراوح بين الضرب والدفع والركل، وشد الشعر إلى التهديد بالسكين أو المسدس أو الحرق أو السب والشتم والإذلال والبصق والاحتقار." العيسوي[3]

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى مختلف الآثار السلبية التي يخلفها العنف على نفسية المرأة وهو ما لمسناه من خلال عدة حالات تقدمن لطلب المساعدة النفسية والدعم على مدار خمسة عشرة سنة خبرة في ميدان الاستشارة والمتابعة النفسية، من اللاتي تعرضن للعنف من طرف الأخ أو الأب، أو للعنف الزواجي بشتى أنواعه (ضرب، وشتم وإساءة لفظية ومعنوية) ناهيك عن الكم الهائل الذي أسال حبر الباحثين في الدراسات التي بحثت في موضوع العنف المسلط ضد المرآة، بمختلف الزوايا التي يشملها، محاولة بذلك تقديم نظرة شمولية عن الأسباب والمسببات والآثار المادية والنفسية .

حيث وجدت: "أن تأثير العنف على صحة المرآة العقلية واضح سواء على الفور أو على المدى الطويل فقد يجعل المرأة عرضة لمجموعة من الاضطرابات النفسية مثل اضطراب الاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة، واضطرابات الأكل، واضطراب تعاطي المخدرات واضطرابات الشخصية، واضطرابات القلق (Salom, Williams,).[4]

كما لاحظنا لدى النساء المعنفات من خلال العيادة النفسية شعورهن بالقهر النفسي، خاصة إذا تكرر العنف الممارس ضدهن في مواقف مختلفة وبأساليب متنوعة، قد تشمل في العديد من الأحيان العنف المادي والمعنوي معا، إذ يتسبب في شعور المرآة بالإهانة والإذلال والإحباط الدائم والخوف بالتهديد وعدم الاستقرار والأمان، وهو ما ينعكس مع الوقت بالسلب على صحتها النفسية وبالتعدي إلى خلل في أدائها لأدوارها على الوجه الصحيح " فالنساء المعنفات حسب ما أشارت إليه بعض الدراسات يتأثرن انفعاليا بمقدار شدة العنف وتكرار حدوثه، وقد تأخذ الآثار النفسية أشكالا متنوعة ومتعددة كالاضطرابات النفسية، وتدني تقدير الذات، والشعور بالخجل، وعدم الثقة لإقامة علاقات مع الآخرين، وعدم الشعور بالأمان، والشعور بالعجز والانطواء والاكتئاب والميول الانتحارية، وتشتت الأفكار وعدم وضوح الأهداف." (الإبراهيم)[5]

وفي حدود اطلاعنا وبحثنا في هذا الموضوع وجدنا وفرة معتبرة من الدراسات التي حاولت تغطيته من جوانب كثيرة، وما لفت الانتباه من خلال هذه الدراسات الكثيرة أن هذه الظاهرة عالمية ومتشابهة، أي لا تختص بشعب أو قومية أو عرق، دون سواه، ولا تنتمي لدين أو شريعة أو مجتمع دون غيره من المجتمعات، وعليه يمكن القول بأنها ظاهرة تخص الجنس البشري.، وفي هذا السياق يرى جليل وديع(1997): " أن العنف هو سلوك

---

[3] العيسوي، محمد عبد الرحمن. " سيكولوجية الجنوح ـ النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت (1984) ص 91

[4] Salom.L ;Wiliams. M, Najman, M. & Alati,R -Substance use and mental health disorders ara linked to different forms of intimate partner violence victimization - . Drug and alcohol dependence, **(2015**) 151.121.127

[5] الابراهيم، إسماعيل.ـ الصحة النفسية لدى النساء الأردنيات المعنفات ـ , مجلة الجامعة الإسلامية، 182 (2) سلسلة الدراسات الإنسانية 2010

مشوب بالقسوة والعدوان والإكراه وهو سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستحضر فيه الدوافع العدوانية استثمارا صريحا بدنيا كالضرب والتدمير واستخدام القوة والإكراه للخصم وقهره، وهو ظاهرة منتشرة في كل المجتمعات له أسباب متعددة بتعدد مجالاته وأشكاله." (جليل وديع)[6]

ولقد وجدت دراسة بدوي(2017) التي أجراها على المجتمع السعودي " أن النساء المعنفات في مدينة الرياض يتعرضن للعنف الجسدي، والصحي والاجتماعي، والاقتصادي، والنفسي، واللفظي، وأن العنف الاجتماعي يمارس بدرجة عالية جدا، وأن النساء الأقل تعليما يتعرضن للعنف أكثر من غيرهن من المتعلمات. (بدوي)[7]

ونجد بأنه ومن الضرورة بمكان أن نعرج في هذا المقام على بعض مفاهيم الإسلام الحنيف التي وضعت تعاليم تحفظ الأنثى وتحث على الاعتناء بها أما وأختا وزوجة، بدل تعنيفها وممارسة الاكراه عليها في العديد من آيات القرآن الكريمة التي تأمر بطاعة الأم، والإحسان بالزوجة ومعاملتها بالمعروف حتى وإن كانت العلاقة الزوجية غير متوافقة لقوله تعالى: (.....وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ." سورة النساء من الآية 19 وحتى في حالة الطلاق يوصي المولى عز وجل كذلك بالمعروف مع النساء حيث يقول: (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ....). "سورة البقرة آية: 231".ويقول: (" وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ). "سورة البقرة، آية: 241 والمقام لا يتسع للاستدلال بآيات أخرى كثيرة تعطي تعاليم صريحة وواضحة للاعتناء بالأنثى وعدم الحاق الأذى النفسي والبدني بها.، وكان من المفترض بالانطلاق من تعاليم الإسلام الحنيفة أن تكون المرأة في مجتمعنا مصانة الكرامة يغمرها الدعم النفسي والمعنوي، وتتمتع بالشعور بالأمن والاستقرار تحت رعاية الرجل (أبا، وأخا، وزوجا)، إلا أننا وللأسف الشديد نجد في الواقع عكس ما كان مفترضا تماما، بل وأسوء بكثير حين يكون الإسلام هو الغطاء المستعمل من طرف الذكر، ليمارس غريزة العنف والعدوان اتجاه المرأة ويمنح لجبروته الشرعية الدينية باعتماد مفاهيم خاطئة قائمة على بناء معرفي مشوه.، يتم توارثه أبا عن جد ويتشبع في كل مرة بعادات ومعتقدات بالية، تنسب كذلك زورا وبهتانا للإسلام.

وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية، تقديم دراسة نفسية تحليلية دينية مستمدة من واقع المجتمع الجزائري، باعتماد بعض النماذج العيادية لحالات تعرضن للعنف والإساءة الزواجية والأبوية والأخوية، و بناءا على كل ما تم التعرض إليه ولحصر البحث في زاوية معينة نختصر مشكلة الدراسة **في التساؤلات التالية:**

- ✓ ما هي صور وأشكال العنف الممارس ضد المرأة في المجتمع الجزائري؟
- ✓ ما هي الآثار النفسية الناجمة عن العنف اللفظي والمعنوي؟

---

[6] جليل وديع، شكور- العنف والجريمة- الدار العربية للعلوم،(طبعة2) 1997 ص 97

[7] بدوي، عبدالرحمن عبدالله علي - العنف ضد المرأة في المجتمع السعودي دراسة ميدانية على النساء المعنفات في مدينة الرياض- مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر . أبريل (العدد 173) 2017 ص 248

- ✓ ماهي الآثار النفسية الناجمة عن العنف الجسدي؟
- ✓ هل تختلف الآثار النفسية الناجمة عن العنف باختلاف نوع العنف الممارس (مادي/ معنوي(.
- ✓ هل تختلف الآثار النفسية الناجمة عن العنف باختلاف نوع العلاقة مع المعنفة؟ أي هل آثار العنف الأبوي أكثر عمقا من العنف الزواجي؟ أو الأخوي؟

1. أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع الذي تدرسه، فالعنف ضد المرآة قضية دولية تعاني منها مختلف الأجناس والمجتمعات لاسيما مجتمعنا الجزائري، والذي تنعكس آثاره على صحة المرأة النفسية والجسدية وبالتالي على أداءها لأدوارها الأساسية خاصة المتعلقة بالأسرة، التي صلاحها مرهون بصلاح ربته الأنثى.، وعليه فالدراسة الحالية إضافة نوعية من الناحية النظرية لحقل الدراسات والأبحاث المهتمة بشؤون المرأة والأسرة والطفل والمجتمع، وكذا إضافة تطبيقية من حيث النتائج المتحصل عليها على اعتبار أنها مستمدة من الواقع الجزائري المعاش.

2. أهداف الدراسة: نلخصها في النقاط التالية:

- ✓ تسليط الضوء على ظاهرة العنف ضد المرآة في المجتمع الجزائري
- ✓ تحليل الظاهرة بأبعادها المختلفة من وجهة نظر نفسية باعتماد الجانب الديني الإسلامي
- ✓ تقديم نماذج لبعض الحالات اللاتي تعرضن للعنف

3 تحديد المصطلحات:

1.3 العنف: لغة:

هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، ويقال عنفه تعنيفا بمعنى كان شديدا معه. أي لم يكن رفيقا به، وعنف به وعنف عليه، أي أخذه بالشدة والقسوة." (الرازي)[8]

[8] الرازي، عبد القادر.- المعجم العربي - بيروت للطباعة والنشر، لبنان (1987) ص 192

ويرى نصر(1996) أن العنف كلمة واسعة التداول تشير إلى نمط من أنماط السلوك الإنساني يتسم بإلحاق الضرر المادي والمعنوي من جانب طرف ما على الطرف الآخر، أما محب الدين(1987) فيرى بأنه طاقة من أصل إنساني تستعمل أساسا بطريقة غير مشروعة، تتجه لإحداث ضرر للأشخاص والأموال (بدوي)[9]

2.3 تعريف العنف ضد المرأة:

أشار الطرابيشي (2011): أن الأمم المتحدة وقعت اعلانا عالميا للقضاء على العنف ضد المرأة سنة (2009) تعرف من خلاله العنف ضد المرأة بأنه: " أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس، ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه معاناة جسمية أو جنسية أو نفسية للمرأة بما في ذلك من التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الاكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة." (بدوي)[10]

ويرى بهلوي، إبراهيم أن العنف ضد المرأة يعرف بأنه سلوك أو فعل موجه إلى المرأة يقوم على القوة والشدة والإكراه، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية، ناجم عن علاقات القوة الغير المتكافئة بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على السواء، والذي يتخذ أشكالا نفسية وجسدية ومتنوعة في الاضرار. " (بهلوي)[11]

4. المنهج المتبع:

كما هو معمول به يعتبر المنهج خطوة قاعدية لأي دراسة علمية لذا يتوجب على الباحث أن يختاره بدقة وحنكة حتى يخدم موضوع البحث على أصوله، ولما كان موضوعنا هو العنف ضد المرأة بصفة عامة في المجتمع الجزائري فالمنهج الوصفي التحليلي كنظرة أولى هو الأكثر ملائمة، ولما كان تتمة الموضوع هو عرض وتحليل لبعض النماذج المستمدة من واقع الممارسة العيادية، فقد اعتمدنا على المنهج العيادي في عرض الحالات ومناقشتها.

5. مجموعة البحث:

تكونت مجموعة البحث في دراستنا من ستة حالات أتين لطلب الاستشارة النفسية والعلاج بمواضيع مختلفة، تتمثل في نوبات الهلع، واضطراب القلق الدائم والمستمر الذي يتسبب في بعض الأمراض السيكوسوماتية كالقولون العصبي والقرحة المعدية، وقلق

---

[9] بدوي، عبدالرحمن عبدالله علي ـ العنف ضد المرأة في المجتمع السعودي دراسة ميدانية على النساء المعنفات في مدينة الرياض.ـ مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر . أبريل (العدد 173) 2017 ص 452

[10] نفس المرجع ص 249

[11] بهلوي،إبراهيم ـ العنف ضد المرآة ـ . منشور على الموقع www.alnoor.se/article (دون سنة)

الموت....إلخ، وخلال المتابعة النفسية اتضح لنا بأنهن كن يعانين ولازلن من العنف الزواجي والأسري، وبالنسبة للبعض من العنف والإساءة (الأبوية والأخوية، والزواجية) أي (هن نساء معنفات)، وعليه اعتمدنا على معطياتهن لنقدم نماذج عيادية على سبيل التمثيل بهدف شرح وتوضيح أهداف الدراسة وللإجابة على أسئلة البحث من واقع جزائري معاش.

أدوات الدراسة: استخدمنا في دراستنا:

. المقابلة العيادية (التشخيصية وتهدف لتشخيص الحالة)، أما العلاجية . فقدمت العلاج النفسي بحكم عملي كمختصة نفسانية عيادية.

. مقياس كوبر سميتCooper Smith النموذج المصغر (1967)، ويتكون من 25 عبارة تقيس الاتجاهات التقييمية نحو الذات في المجال (الاجتماعي الأكاديمي، العائلي والشخصي) منها عبارات سالبة وأخرى موجبة ويقابل كل عبارة البدائل (تنطبق، لا تنطبق) تنقط بـ(0,1) بهذا الترتيب بالنسبة للعبارات الموجبة، والعكس صحيح أي (1,0) بالنسبة للعبارات السالبة. وعليه فأقصى نتيجة يتحصل عليها المفحوص على **مقياس تقدير الذات:** تقدر ب25 درجة، وأدنى نتيجة تتمثل في 0. (وللحصول على الدرجة الكلية للمقياس نضرب عدد الدرجات في 4 لنتحصل على 100 كأقصى مستوى في تقدير الذات. ولتفسير النتائج نعتمد محك المستويات التالية: (منخفض من 20 إلى 40/ متوسط من 40 إلى 60/ مرتفع 60 فما فوق.)

. **مقياس معنى الحياة:** أعد هذا المقياس "هارون توفيق الرشيد" (1996) يتكون في مجمله من 39 بندا، تقيس معنى الحياة، يجاب عنها بأسلوب تقريري ضمن أربعة بدائل: (لا، قليلا، متوسطا، كثيرا) تمنح الدرجات (3,2,1,0) على نفس الترتيب، وبالتالي يتراوح مستوى معنى الحياة من 0 ويعني انعدام معنى الحياة، و117 وتعبر عن مستوى مرتفع لمعنى الحياة، وقام بشير معمرية(2010) بتكييف المقياس على البيئة الجزائرية. (معمرية)[12]

6. أشكال ومظاهر العنف ضد المرأة من وجهة نظر نفس . دينية

تمهيد:

نجد في ديننا الإسلامي الحنيف توثيقا صريحا و واضحا لظاهرة وئد البنات (أي قتل البنات بالدفن في التراب بعد ولادتهن) التي عُرفت بها القبائل العربية في العصر الجاهلي حيث يقول سبحانه في كتابه الكريم : " وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿8﴾بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿9﴾ " سورة

[12] **بشير معمرية** ـ المعنى في الحياة مفهوم أساسي في علم النفس الإيجابي ـ .المجلة العربية للعلوم النفسية (2012)

التكوير الآية (9/8) ويقول في سورة النحل: " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ **أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ** ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59)" الآية 59/58

ونفهم من سياق الآيات بعد البحث في الموضوع بأن إشكالية الفرق بين الذكر والأنثى أو بالأحرى تفضيل الذكر على الأنثى قديمة قدم الإنسان، حيث كان الرجل يدفن بنته بعد ولادتها لا لشيء إلا لأن جنسها أنثى، ومهما حاولنا وضع تفسيرات وتحليلات لهذه الظاهرة، فإننا وبكل بساطة لن نجد لها أي تبرير والحقيقة أن التعبير الإلهي في سورة التكوير المذكور سلفا **موجز** لكنه شامل لمعاني عميقة، حيث أن هذه الموءودة ستسأل عن سبب قتلها؟ وهو سؤال بطبيعة الحال غير حقيقي إذ لا يراد منه الاستفهام لإيجاد جواب شاف أو مقنع، أو حل للقضية بل هو سؤال تعجبي يدل على جبروت ذكر لم يرحم فلدة كبده، مع أنه أنجبها من أنثى تقوم على رعايته وتلبية رغباته.

ونجد في الآية الأخرى قوله تعالى: إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى، نلاحظ دقة التعبير الإلهي وجماله عندما يصف ميلاد الأنثى بالبشرى، ولنا أن نتصور المعاني الإيجابية والعميقة لكلمة البشرى، ومع ذلك نجد وجه الأب مسودا وكظيم بمعنى شديد الحزن والقلق والإحباط مكتئبا وحائرا، ينسحب ويتوارى ويبتعد عن أنظار قومه (وهنا نلاحظ سلطة البيئة والمجتمع في بث هذه الأفكار الجاهلة وقوتها في فرض سيطرتها وبسط هيمنتها وممارستها للضغط النفسي) وهو بابتعاده عن أنظار قومه وكأنه يجد لنفسه مجالا للتفكير جليا في مشكلته الحاصلة وكيفية التصرف حيالها.. هل يترك البنت لتعيش وهو أشد حالات ضعفه وعدم رضاه؟ أم يفعل كما هو معروف ويدسها في التراب؟ ونلمس حالة من الضعف والحزن والإحباط لدى الأب المغلوب على أمره فاقد الإرادة والقرار المشبع ببناء فكري مشوه، يجعله تابعا لأحكام وعادات جاهلية لا تمت للعقل بصلة.

هنا نفهم أن قضية الأنثى قضية قديمة تدخل فيما أسماه فرويد باللاشعور الجمعي، أو فيما يتم وصفه بالبناء المعرفي المشوه حسب الاتجاه المعرفي، وعليه فالمرأة مضطهدة ومنبوذة لا لشيء إلا لكونها أنثى وبما أنها تختلف فيزيولوجيا وسيكولوجيا على تركيبة الذكر فقد مارس عليها كل أنواع العنف، وتسلط عليها بقوته البدنية وبنيته الفزيولوجية.

وعلى الرغم من أن الإسلام كرمها وأحسن إليها، وأوصى بها، وسن تعاليم واضحة وخط حدودا معينة في طريقة التعامل معها، والذي جعلها تنتقل انتقالة نوعية مقارنة بالحال الذي كانت عليه من قبل، إلا أنه وللأسف الشديد وبسبب الفكر الرجعي المتخلف والفهم الخاطئ لتعاليم ديننا الحنيف والاستنتاجات المشوهة، والمعلومات الدينية الممزوجة بالثقافة الشعبية التي لاتزال تعبد الأعراف والتقاليد البالية نجدها في معاناة دائمة مستمرة مع سلطة الأخ الذكر الذي تتوجه الأعراف رقيبا على أخته، أو عنف وقسوة الأب الذي يميز وينحاز في

مشاعره وتقبله لأطفاله بين الذكر والأنثى.، أو حتى الزوج الغير مؤهل للزواج من خلال تأويلات بعيدة كل البعد عن المعنى الحقيقي لمفهوم طاعة الزوج ناسين أو متناسين بالعمد بأن الله تعالى يأمر **بمعاشرتهن بالمعروف**، في كل الحالات ومهما كانت الظروف.

ولا بد من التذكير بأن العنف الممارس ضد المرأة موجود في كل الثقافات مهما اختلفت الشرائع وأنه ظاهر ة عالمية تشترك في بعض التفاصيل وتختلف في أخرى، وتتفاوت في بعض الأشكال والمظاهر باختلاف الغطاء الاجتماعي والطابع البيئي والثقافي والديني، إلا أنه وعلى العموم يمكننا حصر مظهرين أو شكلين أساسين من أشكال العنف ضد المرآة وهما:

1.6/ العنف الجسدي أو الإساءة الجسمية:

في حدود البحث والاطلاع وجدنا ما أشارت إليه منظمة الصحة (2004): في أن العنف الجسدي هو من أبرز مظاهر العنف وأكثرها ضررا، حيث يتم استخدام القوة الجسدية مثل الدفع والضرب والرفس والصفع وشد الشعر، واستخدام الأدوات الحادة والأجسام الصلبة والتلويح بها، للتهديد باستخدامها نحو الذات أو لإحداث الضرر والألم بالآخرين. " (بدوي) [13]

2.6/العنف النفسي أو الإساءة النفسية:

يشير زغلول (2001) بأن العنف النفسي: يتضمن إذلال المرآة والتقليل من شأنها وتخويفها ورفض الحديث معها ومناداتها بالأسماء أو الألقاب التي لا تحبها، والإهمال والتحقير والتحطيم لممتلكاتها الشخصية والاستيلاء على ممتلكاتها، والتحكم فيها وفي حريتها الشخصية. " (زغلول) [14]

ويتفق العلماء والباحثون في أن العنف الجسدي والمعنوي هما المظهران الرئيسيان للإساءة أو العنف ضد المرأة ولكن هذا لا يعني بعدم وجود مظاهر أخرى يمكن اعتبارها ثانوية كالعنف الجنسي والاقتصادي والصحي والاجتماعي واللفظي... والتي قد تندرج بطريقة او بأخرى تحت العنف النفسي والجسدي، لأن آثارها تتمثل في مشاعر الحزن والإحباط والقهر والظلم إذ كان الاعتداء نفسيا فقط، أو العدوان الجسدي المادي مع ما سبق من آثار نفسية.

وعليه سنشير فيما يلي وبشيء من التفصيل لجزء من هذه الأشكال باعتماد نماذج لبعض الحالات من العيادة النفسية. اللواتي أتين لطلب الاستشارة والدعم والمساعدة النفسية بسبب اضطرابات ومشاكل أخرى تعانين منها، **بمعنى لم يكن طلب المساعدة حينها مرتبط بتعرضهن**

---

[13] بدوي (مرجع سبق ذكره) ص453

[14] زغلول،ملك. ـ حالة ضرب الزوجة في مصر ـ المركز القومي للبحوث .القاهرة (2001) ص 20

للعنف، ولكن ومن خلال الجلسات اتضح بأنهن كن عرضة للإساءة الجسدية لسنوات طويلة ناهيك عن العنف النفسي وما يدخل تحته من عنف لفظي وصحي واجتماعي...إلخ

ويحضرنا في هذا المقام بعض أمثلة لحالات تعرضن للعنف الزواجي والعنف الأبوي والعنف الأخوي وسنذكر بعضا منها على سبيل التمثيل لا الحصر لنستنتج، أهم أشكال العنف الموجه ضد المرآة في مجتمعنا الجزائري، ومختلف الآثار النفسية المترتبة عنه.

أولا/ بالنسبة للعنف الزواجي: تابعت خلال مشواري المهني كمختصة نفسانية عيادية في قطاع الصحة العمومية، عددا معتبرا من الحالات اللاتي تعرضن للعنف الزواجي، وسذكر فيما يلي حالتين (نعيمة/ زينب)

الحالة الأولى:

(نعيمة 44 سنة ماكثة في البيت مستوى تعليمي جامعي، أم لأربعة أطفال، لا تعاني من أي أمراض عضوية)، تم توجيهها للفحص النفسي من طرف الطبيبة العامة، وكانت آثار الضرب المبرح الذي تعرضت له من طرف الزوج بادية على جسمها وارتسمت على جزء من وجهها، ورقبتها آثار الرفس بقدمه منتعلا حذاءه، أرادت الطبيبة أن أقنعها بضرورة عمل شهادة طبية لدى مصالح الطب الشرعي لتقديم شكوى ضد الزوج الذي اعتاد ضربها لأتفه الأسباب أمام أطفاله، لكنها رفضت ذلك بشدة.

من خلال المقابلة مع المفحوصة، اتضح بأن زوجها يمارس عليها العنف النفسي والجسمي منذ عشر سنوات (وهي مدة زواجها منه)، وأنها اعتادت على ذلك ولم تعد تشعر بشيء، ولم تعد تتألم من ركله ودفعه لها وشدها من الشعر، وكل ما يؤلمها في الأمر هو حال أطفالها عندما تنتابهم نوبة الذعر والهلع لما يشاهدونه أمامهم من عنف، وتخاف أن يقتلها في المرات المقبلة بضربة شيطانية على حين غفلة كما صرحت بتعبيرها: (نخاف كاش نهار يعطيني على غفلة بضربة شيطانية يقتلني بيها ويتيتموا ولادي). كانت تقضي كل يومها في التنظيف والطبخ (الأعمال المنزلية) لا ترتاح أبدا، كما تقوم بخبز بعض المعجنات التقليدية وبيعها لمحلات المواد الغذائية حتى تلبي طلبات أبناءها، لأن زوجها بخيل ولا يوفر حاجات أطفاله كما يجب، وحتى أنه في العديد من المرات يسلب منها أموالها التي تتحصل عليها من أهلها أو من عملها، بحجة أنها لا تجيد التصرف في المال ولا يتوانى في وصفها بأقبح الصفات وتلقيبها بأبشع الأسماء وينعتها دائما بلقب (مخ الجاج) أمام الأهل والجيران والأطفال، تقول (يبهدلني قدام الصغير ولكبير وقدام فاميلتو ويعايرني يا مخ الجاج). تقول " في البداية كانت تغيضني عمري منو ، ونظل نبكي.. لكن مع الوقت برد قلبي.) لم تعد تهتم لا بلباس ولا بهندام ولا بأفراح، (وحتى مظهرها الخارجي يوحي بسن أكبر بكثير من سنها)، كل همها هو الاعتناء بأطفالها فحياتها لم تعد مهمة.

الجدير بالذكر أن هذا الزوج شخص مثقف، مستواه الدراسي جامعي، متدين حسب المفهوم العام المتداول (يصلي بالمسجد، ويقرآ القرآن...)، من عباراته الشهيرة معها (أن المرآة خليفة ابليس في الأرض لكان شاف ربي فيكم الخير ماكنش حط فيكوم سورة فالقرآن، طاعة الزوج واجبة وضرب الزوجة مباح بدليل آيات القرآن).

من خلال هذه الحالة يلفت انتباهنا وللوهلة الأولى معاناتها الكبيرة من **العنف الجسدي والنفسي معا** وكذا العنف الاقتصادي لأنه يسلبها ومن دون وجه حق مالها الخاص ليتصرف فيه دون رضاها وإذنها وهذا العنف الذي استمر طول حياتها الزوجية خلف منها انسانة محطمة المشاعر، فاقدة للأحاسيس فاقدة لمعنى الحياة حيث تحصلت على نتيجة 30 درجة، تقديرها لذاتها منخفض حيث سجلت درجة 25

2/ الحالة الثانية:

(زينب 46 سنة، ماكثة بالبيت، مستواها الدراسي شهادة التعليم المتوسط، مدة الزواج 18 سنة (بتاريخ الاستشارة) أم لثلاثة أطفال بنت وولدين، تعاني من مرض الربو منذ فترة المراهقة)، تصف زينب زواجها بأنه لم يكن سعيدا أبدا إذ لا يمر أسبوع بدون مشاكل مع الزوج العصبي الكثير الغضب حسب وصفها له، يضربها بعنف تسبب في كسر ذراعها مرتين وتسبب في حرق من الدرجة الثانية في شهر رمضان بعد قلب مائدة الإفطار عليها لأنها نسيت وضع التمر واللبن. تقول عندما وصفت هذه الحادثة (حرقني من داخل ومن برة) في إشارة منها لحجم الأثر النفسي الذي تلقته منه على مدار مدة زواجها منه، تقول بأنها لم تعد تشعر بأنوثتها ولذلك لبست الجلباب والنقاب والكفين وحتى الجوارب، وبتعبيرها (ما وليتش نحس روحي امرأة، علا هاذي لبست الجلباب وغطيت كلش فيا ما نحب حتى واحد يشوفني، نحس روحي مخبية بالجلباب نرتاح خير)، ارتدائها للجلباب لم يكن بدافع التدين ولكن بسبب فقدان شعورها بالأنوثة، ومن شدة القهر النفسي الذي تعرضت له طوال حياتها الزوجية تقول لم أطلب الطلاق لأن أبي رفض استقبالي بأطفالي وطلب مني أن أتركهم وأعود للمنزل لكنني رفضت وصبرت لأجل أطفالي حتى لا أشردهم. زوجها لا يناديها باسمها أبدا تقول (يعيطلي غير يا المصيبة ويقولي من نهار شفتك ما رحبحتش.)

واحد الوقت كنت بززاف حساسة دوك نحس روحي حجرة هو يسب وأنا نسمع). نفهم من هذا السياق أن الحالة ولكثرة الوجع الذي عاشته فقدت شعورها به (أي تبلدت مشاعرها) تقول (ما نحسش روحي عايشة، تقدري تقولي ميتة فالدنيا)، وهنا نستنتج بكل بساطه أن السيدة فقدت معنى حياتها وهو درجة عالية إذا لم نقل أقصى درجات الضرر النفسي حسب اعتقادنا طبعا.

نلاحظ اشتراك الحالتين في نفس المظاهر تقريبا (عنف جسدي، عنف لفظي، عنف نفسي) تسبب لهما في نفس الآثار، فقدان الثقة في النفس، فقدان معنى الحياة إذ تحصلت على نتيجة 37 على مقياس معنى الحياة، الوجع النفسي وانخفاض تقدير الذات إذ سجلت نتيجة28، وكذا تبلد المشاعر، الشعور بالقهر والظلم...إلخ وللأسف الشديد فقائمة العنف الزواجي طويلة لا يتسع المقام لسردها.

ثانيا/ العنف الأبوي: وقع اختيارنا في حالات العنف الأبوي على حالتين (رميساء 16 سنة/ صارة 18سنة)

1/ الحالة الأولى: رميساء 16 سنة مراهقة تدرس في السنة الأولى ثانوي هي الكبيرة في ترتيب الإخوة وعددهم ثلاثة، لا تعاني من أية أمراض جسمية أحضرها الأب **بالقوة** للجلسة النفسية بعد توجيهها من طرف الطبيب العقلي، بسبب محاولة الانتحار التي أقدمت عليها مرتين متتاليتن (في المرة الأولى تقطيع اليدين بعد اسعافها بالمستشفى، وصف لها طبيب الأمراض العقلية أدوية مضادة للاكتئاب، لتشربها كلها في المحاولة الثانية، ولحسن حظها تم اكتشاف محاولتها في الوقت المناسب)

بعد بناء العلاقة مع المراهقة اتضح بأنها تعاني من العنف الوالدي وحتى الأخوي منذ كانت طفلة وأن الأب هو السبب الأساسي في محاولتها للانتحار، ولا تريد الاستمرار في عيش حياة مماثلة وصفتها بالجحيم تشير رميساء إلى أن أمها كذلك تعاني من العنف الزواجي (وتستحضر عدة ذكريات مؤلمة للضرب المبرح الذي تتلقاه الأم بدون سبب واضح، وبأنها لم تعد تستحمل العيش معه، فإما الموت أو الهروب من المنزل وحتى لا تسبب العار لأمها على حد قولها اختارت الانتحار)، تشير بأنها لبست الحجاب مرغمة وهي تلميذة في الابتدائي وأنها حرمت من التمتع بشعرها مثل باقي الفتيات، كما أن الأب يمنعها من ممارسة أبسط الحقوق وفي المقابل يترك الحرية المطلقة لأخويها الذكرين (14 سنة، 12 سنة) بل ويطلب منهما مراقبتها في الخارج وتقديم تقرير مفصل لكل تحركاتها مع إمكانية تأديبها ،إن لاحظا خطأ في تصرفها (فالبنت **بومبا** (أي قنبلة) في المنزل على حد تعبير الأب الذي يلقنه لولديه الذكرين).

تقول رميساء كل يوم أتمنى له الموت، لا أريد له الحياة وفي مرات كثيرة فكرت في قتله: (اشتريت سم الفئران وفكرت في وضعه في صحنه... أتخيل نفسي وأنا ألقي عليه بالزيت الساخن أو الماء الساخن، لا أشعر بأنه أبي بل هو وحش من الغابة)، هذا مقتطف من الحوار الذي كان في ثاني مقابلة عيادية. وللإشارة فقد استقبلت الأب على انفراد في أول جلسة، وصرح بأنه يعاملها بعنف وقسوة ويضربها ضربا مبرحا لكنه يندم بعد ذلك، كما أنه ضربها بعد محاولة انتحارها الأولى حتى لا تفكر في الأمر مرة أخرى لكن هذا ما دفعها لإعادة المحاولة، حتى شرح له طبيب الأمراض العقلية ووضح بأن البنت مراهقة وفي حاجة لمن يفهم معاناتها ولا بد لها من متابعة نفسية، ولكنه في نفس الوقت لا يتفق معه تماما ويرى بأن هذا واجبه في الدين فهو مطالب بتأديب البنت وتربيتها حتى لا تخرج عن الطريق المستقيم، وحتى لا تخطأ في

حق نفسها وتجلب له العار ، ولذا فهو بقسوته هذه يحميها من الخطأ، ويشير كذلك إلى أن الفتاة مسؤولية كبيرة وكان يتمنى أن ينجب الذكور فقط لثقل مسؤولية تربية البنت في نظره، وأنه لم يفرح بها يوم ميلادها، ولم يتكلم مع زوجته أسبوعا بعد الولادة على الرغم من علمه بأنه المسؤول عن تحديد جنس المولود. ولكن (الله غالب فوق طاقتي ـ حسب قوله).

حالة رميساء كانت متأزمة بسبب الضغط النفسي والعنف المستمر الذي عاشته في طفولتها ومراهقتها دون الحديث عن غياب حاجاتها العاطفية الأساسية، وهو ما تسبب في اكتئابها الكبير وحاجتها لمتابعة دوائية لفترة طويلة. فقد تعرضت لأشكال العنف بنوعيه مما تسبب في اضطرابها.، وحتى اصطحابها للمتابعة النفسية كما سبق وأشرنا كان بالغصب والقوة، مستوى معنى الحياة كان جد منخفض لدى الحالة وقدر بـ 15، ومستوى تقدير الذات كذلك منخفض حيث سجلت 24 في مقياس كوبر سميث

2/ الحالة الثانية:

صارة 18 سنة، الأولى في ترتيب الأخوات وعددهن أربعة، تلميذة في السنة الثالثة ثانوي شعبة علوم طبيعية، جاءت لطلب الاستشارة النفسية برغبتها بعدما تم تشخيصها بداء الثعلبة **la pelade** وفهمت من مختص الأمراض الجلدية بأن المشكلة نفسية، فداء الثعلبة من بين الأمراض السيكوسوماتية خاصة وأن هذا الاضطراب أثر على صورة الذات وثقتها بنفسها، كما أنها تعاني من ضغط نفسي لأن الأب يهددها في كل مرة بتوقيفها عن الدراسة إذا لم تتحصل على نتائج جيدة بالنسبة له.

صرحت صارة بشعورها بالوحدة الدائمة والمستمرة، وبأنها لا تستطيع تكوين علاقات اجتماعية وصداقات مع زميلاتها لأن هذا الأمر غير مسموح به في قانون الأب، وتخاف أن تعصي أمره فيتصرف بطريقة انفعالية مع زميلاتها أو يدمر مستقبلها بتوقيفها عن الدراسة أو تزويجها في سن مبكر وينفذ تهديداته، تقول أن عليها أن تسطر تصرفاتها بالمسطرة وتحسبها بالقلم حتى لا يكون هناك خطأ يثير غضب الأب الذي يتعامل معها ومع أخواتها بالقسوة والعنف، فلغته هي الضرب والجلد بحزام سرواله وأنه بارع في إيجاد الأوصاف والألقاب التي تبكي عليها ليلة كاملة.

صرحت صارة بأنها لا تكن له أية مشاعر ولا تشعر بأبوته فهو أب فاشل وزوج ظالم حسب تعبيرها ووصفها، وحتى الأم لا تنجو من ضربه إن حاولت الدفاع على بناتها وهي يوميا مهددة بالطلاق أو بزواجه من أخرى لأنها لم تنجب له الذكر، تصف صارة أمها بالمسكينة لأنها جاهلة لم تكمل تعليمها ولا سند لديها، فأهلها لا يحركون ساكنا أمام العنف الذي تتعرض له من زوجها، وتقول (خوالي ماشي رجال).

صارة كانت لديها وعي بالمشكل واختارت طريق العلم والتفوق حتى تستقل من سلطة الأب وعنفه ومع ذلك فقد أثر بالسلب على جانبها النفسي، تقول بأنها تكره صنف الرجال وأنها لا تتمنى أبدا الزواج في حياتها، وإن حدث وأراد الأب أن يزوجها بالغصب فالموت أهون عليها من ذلك، كما أنها تكره نفسها لأنها أنثى ولو كان الاختيار بيدها لاختارت أن تكون ذكرا، ضف إلى ذلك فقدانها للثقة في نفسها وتشمئز من صورة ذاتها خاصة مع مرض الثعلبة الذي تعاني منه، كما أنها فاقدة للثقة في الآخرين وهو ما تلاحظه في الاختبارات والفروض، فعلى الرغم من معرفتها للإجابة إلا أنها تبقى مترددة تكتب وتمحي وتغير ورقة الاختبار مرات عديدة.

بلغت نتيجتها على مقياس معنى الحياة 29 وتدل على مستوى منخفض، كما سجلت نتيجة 30 على مقياس كوبر سميث وبالتالي تقدير ذات منخفض، ونستنتج بأن الحالة عايشت شكل العنف الجسدي والمعنوي المسلط من طرف الأب، وهو ما تسبب في إصابتها بمرض الثعلبة **la pelade** وعدم الثقة في نفسها وتشوه صورتها الذاتية، دون اغفال جانب الضغط الدائم الذي تعيشه مصحوبا بشعورها بالوحدة النفسية، ولنا أن نتخيل كل هذه الآثار النفسية لدى مراهقة مقبلة على اجتياز شهادة الباكالوريا الذي أصبح حدثا اجتماعيا مهما لا يخلو من التوتر والقلق لدى الممتحنين الذين يكون في حاجة ماسة لدعم أهلهم ومساندتهم.

العنف الأخوي:

حسب رأينا واعتقادنا فالعنف الأخوي هو امتداد للعنف الأبوي ويشترك معه في بعض الخصائص التي يفرضها المجتمع من خلال التنشئة الخاطئة. والبناء المعرفي المشوه الذي يعطي للذكر الأحقية في ممارسة سلطته وعنفه على أخته على الرغم من أن مكانتهما في الأسرة واحدة وأدوارهما تكاد تكون نفسها، ومع ذلك نجد بأن الأخ يحاول بسط هيمنته وسلطته بالقوة والعنف والعدوان. وسنذكر فيما يلي حالتين كانتا تعانيان من العنف الأخوي (عائشة 38 سنة/ نسيمة24 سنة)

1/ الحالة الأولى:

عائشة 38 سنة عزباء، الأولى في ترتيب الإخوة والأخوات البالغ عددهم ثلاثة ذكور وثلاثة إناث (متزوجات)، تقيم مع الأهل في المنزل العائلي يسكنه (الوالدين، والإخوة الذكور، كبيرهم متزوج وله بنت) صحتها جيدة على العموم، تعاني من قرحة المعدة ومن القولون العصبي وفقدان الشهية، مستواها الدراسي السنة الثالثة جامعي (لم تواصل تعليمها ولم تتحصل على شهادة الليسانس في الحقوق)، جاءت لطلب الاستشارة النفسية بسبب قلقها الدائم والمستمر، وتعلقها بشخص تقدم لخطبتها ولكن العائلة لم تقبل به بحجة أنه أرمل ولديه بنت، وهي لم يسبق لها الزواج.

منذ صغرها كانت معاناتها مع الأخ الذي يصغرها بسنتين، هذا الأخير الذي كان سببا في تخليها عن الدراسة وعدم تحصلها على شهادة ليسانس في الحقوق، تعرضت للضرب المبرح وللتعنيف من طرفه منذ طفولتها وإلى حين طلب الاستشارة النفسية، تقول بأن والدها هو من أعطاه تلك السلطة وطلب منه أن يضعها تحت رقابته ومسؤوليته، فكان يرافق خطواتها باستمرار في ذهابها إلى المدرسة وعودتها وفي المرحلة المتوسطة والثانوية، وعندما تحصلت على شهادة الباكالوريا كان معارضا لدخولها الجامعة بحجة أنه لن يستطيع اصطحابها، ومع إصرارها سجلت لتدرس الحقوق فكان يفتعل المشاكل بصفة يومية حول موعد خروجها وعودتها إلى المنزل وفي كل مرة تتأخر فيه، يشبعها ضربا حتى تفقد الوعي دون تدخل الوالدين، وعندما تشتكيه إلى الوالد يجيبها بأن الأخ هو الأعلم بمصلحتها، ولديه الرأي الصواب تقول عائشة حينها كنت أشعر بأنني شفافة لا جسد لي، لا قيمة ولا احترام ولا أدنى اعتبار وقررت أن لا أكمل دراستي فلا فائدة من الدراسة لأنني أنثى، وليس الذكر كالأنثى هكذا جاء في القرآن الكريم.

وأصبحت ماكثة بالمنزل تنظف وترتب وتطهو، ومع ذلك ليست محبوبة ولا مقبولة من طرف الأب والأخ وحتى بعد زواجه لم تتحرر من سلطته وجبروته (ممنوع أن تخرج بمفردها من المنزل، ممنوع أن تخرج دون إذنه، ممنوع زيارة الطبيب...إلخ كل شيء ممنوع) ناهيك عن وصفها بصفات قبيحة لأنها نحيفة ولا تتغدى جيدا دائما يلقبها (البالي، مطرق الشواء، الجلد على لعظم، شكون اللي راح يقبل بسكولات كيما انت) وهذا ما جعلها نفسيتها تتأزم أكثر، صارت ترى نفسها مثلما يصفها الأخ.

عندما تقدم أحد لخطبتها رفض الأخ طلبه دون استشارتها أو أخذ رأيها، على الرغم من أنها كانت موافقة لأنها كانت ترى فيه المخرج الوحيد من منزلها العائلي والحل الوحيد لمشاكلها، ورفض الأهل لخطبتها جعلها تفقد الشهية للطعام تقول، لم أعد أشعر لا بالجوع ولا بالعطش، تمر أيام في الأسبوع دون أن يدخل فمي لقمة واحدة، وهو ما سبب لها قرحة معدية حسب الطبيب المختص في الأمراض الداخلية وكذا القولون العصبي.، وبسبب سوء التغذية أصبحت تعاني من اغماءات متكررة.

نلاحظ بأن العنف الجسمي والنفسي الذي تعرضت له عائشة كان السبب المباشر في معاناتها من الأمراض السيكوسوماتية فقدانها للشهية نابع من فقدانها للرغبة في الحياة وشعورها باليأس والإحباط الدائم والقهر.، لا ترى عائشة فرقا بين العنف الجسدي والنفسي فعلى حد قولها (في زوج يخلوك تحسي روحك دون قيمة، غير موجودة، وكأني زيادة في هذي الدنيا).

سجلت عائشة نتيجة 34 درجة على مقياس معنى الحياة ويدل على مستوى منخفض، ونتيجة 32 على مقياس تقدير الذات وهي كذلك تدل على تقدير ذات منخفض.

2/ الحالة الثانية: (نسيمة 24 سنة) الثانية في ترتيب الأخوة (ذكرين) المستوى الدراسي جامعي، تعمل كمعلمة بمدرسة خاصة، عزباء، السوابق المرضية (السكري درجة أولى عندما كان في عمرها 19 سنة) الأم على قيد الحياة والأب توفي بسبب جائحة الكورونا، جاءت لطلب الاستشارة النفسية بعدما أصبحت غير قادرة على ضبط نفسها وانفعالاتها مع تلاميذ الإبتدائي، تقول أصبحت أصرخ عليهم باستمرار ولولا أن القانون يمنع ضربهم لكنت ضربتهم ربما، أعلم بأن سلوكي غير سوي، وأندم عندما أعود للمنزل وأعاهد نفسي على معاملتهم بالحسنى، ولكن في كل مرة أكرر نفس السلوك.

صرحت بأن حاجتها ورغبتها لزيارة المختص النفسي كانت قديمة لكن لم تسنح لها الفرصة من قبل. اتضح من خلال الجلسات النفسية أنها كانت تعاني من العنف الجسدي من طرف الأب في طفولتها ومنذ مراهقتها إلى حين طلب المساعدة النفسية من العنف الأخوي، اللذان تصفهما بالوحشيين (الكبير يكبرها بسنتين والآخر يصغرها بسنة) ومع ذلك لا احترام ولا تقدير على حد تعبيرها، يمارسون العنف اللفظي باستمرار يتحكمون في تصرفاتها وفي لباسها وفي كل أمورها، وكذا العنف الاقتصادي (بسلبها جزء من مالها على أساس دين لكنه لا يعود) تقول أشتري راحة بالي بالمال، فعندما أعطيهما جزءا من راتبي أكسب شيئا من الهدوء لأسبوع أو عشرة أيام، لتعود الأحوال إلى ما كانت عليه، أما العنف الجسدي فقد تعرضت للضرب المبرح من طرف الأخ الأكبر في إحدى المرات لأنها رفضت أن تقرضه المال، شدة الضرب جعلتها تبقى طريحة الفراش لمدة أسبوع كامل لكنها لم تسكت على حد تعبيرها، فقد سجلت محضرا لدى الشرطة القضائية مرفوقا بشهادة العجز من الطبيب الشرعي، وبقي هو في السجن لفترة أسبوع ليخرج بعدما تنازلت عن المحضر بعد توقيعه على عدم التعرض لها.

الأم تقريبا غائبة في كل مرة تلومها لأنها لا تسمع كلام أخويها وتضيف أمي تخاف منهما مثلما كانت تخاف من أبي، لا يعرفون معنى احترام وطاعة الأم، أنا لا ألومها (بلعكس تغيضني لأنها ضعيفة الشخصية ولا أريد أن أكون مثلها.)

نسيمة تشترك مع الحالة السابقة في شعورها بالضغط الشديد من سلطة الإخوة وممارستهم الدائمة والمستمرة للعنف النفسي ضدها، تحاول جاهدة التأقلم والتوافق مع وضعها، إلا أنها لم تستطع مما سبب لها مرض السكري، والشعور بالضغط النفسي وعدم القدرة على التحكم في انفعالاتها السالبة.

نتائجها على المقياسين دلت على مستوى منخفض لمعنى الحياة إذ سجلت 31 درجة، وكذا مستوى تقدير ذات منخفض حيث سجلت 33 درجة.

7.مناقشة وتفسير الحالات والإجابة على أسئلة الدراسة:

أشرنا فيما سبق لأشكال العنف الأساسية والمتمثلة في العنف الجسدي والنفسي واللذان يتسببان في آثار نفسية مختلفة على المرأة، وقدمنا بعض النماذج لحالات تعرضن للعنف الزواجي، والأبوي والأخوي وفيما يلي سنحاول تقديم أجوبة لتساؤلات الدراسة بالاعتماد على الحالات المقدمة بعد عرض نتائجهن على المقياسين المطبقين في الدراسة:

1.7. صور وأشكال العنف الممارس ضد المرأة في المجتمع الجزائري وآثاره النفسية :

الحالات الستة التي تم التعرض لها (حالتين للعنف الزواجي الجسمي والنفسي/ وحالتين للعنف الأبوي الجسمي والنفسي/ وحالتين للعنف الأخوي الجسمي والنفسي)، ما هي إلا نماذج حالات لقائمة طويلة مستمدة من مجتمعنا الجزائري، وما خفي كان أعظم، بمعنى هناك العديد منها ممن لا يتقدمن للعلاج النفسي، ولا حتى يصرحن بإشكاليتهن الكبيرة متواجدات في الكواليس إن صح التعبير.

والملاحظ مما تم التعرض إليه، أن السلطة الذكورية المشبعة بالعنف والعدوان ترتدي رداء الشرعية من الدين باستغلال مفاهيم خاطئة ما أنزل الله بها من سلطان، ففكرة تسلط الأخ على أخته والتحكم في حريتها ومحاولة تأديبها، نابعة أولا من غياب عدالة الأب وغياب مسؤوليته الأساسية في احتواء بناته وإشباع حاجتهن للعطف الأبوي والرعاية والحنان، وبدل ذلك يقوم بتسليط الأخ وجعله رقيبا على سلوكها في تصريح مباشر منه بأن الخطأ غير مسموح للأنثى وتعاقب عليه عقابا كبيرا، بينما للذكر كل الحرية في أن يخطأ كما يشاء.

و كنا قد أشرنا فيما سبق إلى أن قضية نكران الأنثى وتفضيل الذكر عليها، متأصلة في موروثنا الثقافي منذ العصر الجاهلي وحتى قبله عندما كانت الفتاة تدفن حية بعد ميلادها مباشرة، بينما تقرع الطبول لميلاد الذكر، ومما لا شك فيه بأن هناك الكثير من المفاهيم الدينية التي فسرت بالخطأ وأولت في غياب سياقها الأساسي الذي أوجدت لأجله، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة ديوث/ والديوث هو الذي لا يغار على أهل بيته)، وتم فهم هذا الحديث بطريقة مشوهة وأصبح تطبيقه خاطئا بحيث يتداول على المسامع دائما (أنا لست ديوث/ وفي مقابله لن أسمح لأختي بالخطأ حتى لا آخذ هذا الوصم، في حين يسمح لنفسه بالخطأ وبجعل أخا آخر أو أبا ديوث) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأنانية المترسخة في الأنفس وحب الذات، والعمل على الصورة الاجتماعية الشكلية دون الاهتمام بالجوهر، ويحضرنا في نفس السياق قول رسول الله '(...كلكم راع، وكل راع مسؤول على رعيته... وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ....) رواه مسلم، والمقصود منه هو تحمل مسؤولية الأهل من مأكل ومشرب وأمن واستقرار...إلخ وكل ما يشمله من الأدوار الخاصة بالذكر (أبا، وأخا، وزوجا) إلا أنه وبنفس الطريقة أخذ الشق الهامشي من الحديث ليفهم بطريقة مشوهة ليعتقد الذكر، بأنه سيسأل عن أخطاء أخته

وزوجته وابنته وزلاتها، وسيتحاسب عليه، دون الرجوع لقوله تعالى: (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.....) سورة فاطر18 أي أن الله لا يحمل أي شخص وزر، وسيئات شخص آخر، ونجده في المقابل يسقط عن نفسه مسؤولية أخرى تتعلق بايواءها وأكلها وحمايتها، بل ويتعدى عليها بسلبها مالها والتنمر عليها بحجة قلة تفكيرها وعدم وعيها ونضجها عملا بحديث مكذوب نسب لرسول الله زورا والذي مفاده (أن النساء ناقصات عقلا ودينا) ونسوا في ذات الآن قول رسول الله (النساء شقائق الرجال)وقوله (رفقا بالقوارير) وقوله لا يكرمهن إلا كريم ولا يهينهن إلا لئيم) رواه مسلم، وقوله تعالى "**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيهِنَّ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ**) **البقرة/228** وللأسف الشديد تم تفسير **عليهن درجة** تفسيرا خاطئا مرة أخرى واعتبروا أن القصد منها تشريف وهو في حقيقة الأمر تكليف.

هذا جزء بسيط من أجزاء كثيرة ومتفرعة لمفاهيم روجت لبناء معرفي مشوه تم تداوله بالتواتر والتوارث ليدخل ضمن العرف والعادات والتقاليد ويرتقي لدرجة الاعتقاد به، ومع ضعف البنية الفيزيولوجية للمرأة، فقد كان المجال مفتوحا أمام الذكر ليمارس عنفه ضد المرأة بشتى أشكاله تحت راية الدين والإسلام والفهم المغلوط، إذ تفترض منظمة الصحة العالمية(2016):" أن القوة والسيطرة هي المحفزات الكامنة وراء عنف الرجال اتجاه النساء، وأنهم يستخدمون مجموعة من تلك الاستراتيجيات لتأكيد تلك القوة والسيطرة."([15]World Health).

وهي التي خلفت آثارا نفسية وصحية وعقلية سلبية على المرأة وانعكست في تربية أطفالها وفي أدائها لمهامها وأدوارها في العمل أو في المنزل، وبالانطلاق دائما من النماذج المذكورة في دراستنا لمسنا تقريبا نفس الآثار النفسية والمتمثلة في جلها بفقدان معنى الحياة خاصة بالنسبة للمتزوجات (في حال العنف الزواجي) وانخفاض تقدير الذات، والإحباط الدائم، وكذا بعض الأمراض السيكوسوماتية كالسكري والقرحة المعدية وداء الثعلبة، والقولون العصبي، ناهيك عن فقدان الاهتمام بالأنوثة في شقيها الشكلي والمعنوي، وعدم الرغبة في إقامة علاقات مع الآخرين، والشعور المستمر بالضغط النفسي والتوتر والقلق وهي تقريبا نفس النتائج التي توصلت إليها أغلب الدراسات، فقد أشار ماونتن (2015) إلى أن العنف يؤثر بشكل كبير على النساء، ويمكن أن تكون الآثار مدمرة، ويشار إلى تدهور الحالة النفسية بأنه أكثر أنواع الإساءة التي تعاني منها المرأة... وقد يشمل بعض الاضطرابات، والقلق واضطراب ما بعد الصدمة. (الدويري)[16].

---

[15] World Health Organization (WHO) -Violence Against Women. Retrieved from - **http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs239/en.**

[16] ـ الدويري، بلال عبد الله ـ مستوى المرونة النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى عينة من النساء المعنفات في محافظتي عمان والزرقاء ـ مجلة التربية (2022)، المقالة 4 (العدد 194)، ص 230- 211 كلية التربية جامعة الأزهر

وتكاد كل الدراسات تجمع على وجود الآثار النفسية السلبية على نفسية المعنفة، وهذا الأمر يمكن القول فيه بأنه تحصيل حاصل، فكل ما يخرج عن الفطرة السليمة يأتي بنتائج وآثار سلبية في غالبية الأحيان. وحسب النماذج المقدمة في الدراسة، لم نلمس فرقا في شدة الآثار النفسية تبعا للعلاقة مع المعنف (أخ أو أب أو زوج)، بمعنى أن الأثر النفسي تقريبا واحد ومتشابه مهما كانت القرابة مع الشخص الذي يمارس العنف، وهذا مرده حسب اعتقادنا إلى مفهوم العنف في حد ذاته، وعدم الشرعية في ممارسته أي بأي حق كأب أو كزوج أو كأخ، يضرب الذكر الأنثى ويستعرض معها عضلاته ويفرغ جام غضبه عليها فقط لأنها ضعيفة البنية لا تستطيع الدفاع عن نفسها أو حتى صده، ولا تستطيع الرد إن استعمل العنف اللفظي معه لأنها تخاف أن يتطور العنف اللفظي إلى جسدي.

وكخلاصة لمجمل الآثار النفسية التي قمنا باستنباطها وتحليلها من الحالات المعروضة، والتي لاحظناها عند أغلب المعنفات حتى اللاتي لم يتسع المجال لعرض حالاتهن، نذكر فقدان الثقة في النفس، وفقدان معنى الحياة، الوجع النفسي، تبلد المشاعر، الشعور بالقهر والظلم...إلخ الشعور بالضغط النفسي المستمر، الإكتئاب والإحباط الدائم، بعض الأمراض السيكوسوماتية، الشعور بعدم القيمة والجدوى من الحياة، إهمال الذات وعدم الاهتمام بالأنوثة خاصة في جانبها الشكلي، عدم التحكم في الإنفعالات السالبة.

8. توصيات واقتراحات للبحث:

- ✓ المرونة النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى النساء المعنفات
- ✓ المرونة النفسية لدى المراهقات اللاتي يتعرضن للعنف الأبوي
- ✓ الآثار النفسية لدى النساء اللواتي يعانين من العنف الزوجي
- ✓ العنف الأبوي وعلاقته بالتوافق الزواجي
- ✓ فعالية برنامج علاجي لرفع تقدير الذات لدى المعنفات
- ✓ فعالية برنامج علاجي للتخفيف من الآثار النفسية لدى المعنفات.

خلاصة:

الفطرة الإنسانية التي جبل الله عليها عباده سليمة، تتغذى بالكلمة الطيبة والعمل الصالح والجيد وتتأثر بالكلام والأفعال المؤدية، والدارس لسيكولوجية المرأة سيجد بأن الله زودها بنظام متكامل يساعدها على الاحتواء، والصبر والإيثار والتضحية في سبيل أبناءها وعائلتها، ولا

توجد حسب اعتقادنا امرأة تتمتع بالصحة النفسية تتمنى الطلاق، أو تعمل لعيش حياة زوجية تعيسة، أو تتمنى الشر لوالدها، أو إخوتها بل على العكس من ذلك تماما، فهي التي تجمع شمل العائلة وتتولى تدبير أمورها وتقوم على رعايتها.

والعنف الممارس ضدها، هو عنف ضد البشرية جمعاء، فكما قلنا في مقدمة الدراسة المرأة نصف المجتمع وهي التي تتم نصفه الآخر، وكل عنف يمارس ضدها سيساهم في تدبير المجتمع. وعليه حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نسلط الضوء على هذه الظاهرة المنتشرة في العلن بأرقام، والموجودة في الكواليس بأرقام أخرى مختلفة تماما، لنصف أشكال العنف ضد المرأة ومختلف الآثار السلبية التي تعود على المرأة بسببه، بالانطلاق من واقع المجتمع الجزائري الذي نعيشه مع المفحوصات في العيادة النفسية، وقد طبقنا على الحالات الستة مقياس كوبر سميث لتقدير الذات (النموذج المصغر) ومقياس معنى الحياة لهارون (1996) المقنن من قبل بشير معمرية (2012)، وأكدت نتائج المقياسين انخفاض مستوى معنى الحياة وتقدير الذات لدى مجموعة البحث، إضافة إلى الشعور بالإحباط والميل للعزلة والانطواء وبعض الأمراض السيكوسوماتية.

لقد نقلت دراستنا واقع بعض النساء الجزائريات المعنفات عن قرب، بحيث سمحت العيادة النفسية بالتقرب من الكثير من التفاصيل والأمور الخاصة التي تغطي هذا الموضوع الظاهرة.

ونختم بحثنا بقول الله تعالى: **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) سورة إبراهيم.**[1]

[1] المصدر في الآيات الكريمة ـ القرآن الكريم ـ